

التراث العربي

وعناصره الصالحة لنهضة عربية حديثة

للفؤاد بن عبد العزيز بن عبد الله

لان كثيرا من الاختراعات قد استمدتها الانسانية منذ فجر التاريخ من الحضارات السامية القديمة .

ان من يتتبع مقومات الحضارات الانسانية يلاحظ ظاهرة قديمة وهى امكان رد معظم هذه المقومات الى المدنية الشرقية ففى الفلسفة وفى العلوم وفى الاقتصاد يصطدم المؤرخ بطائفة من المعلومات منتشرة فى كتب منها المطبوع ومنها المخطوط يدل مجموعها على ان كثيرا من مظاهر المدنية التى تبناها عصر الاتبعات فى اوربا ترجع لاعمق العصور ولاعرق المدنيات الشرقية .

والحضارات تتكيف تبعا للجو المحلى وطبقا لمؤثرات تتفاعل فتسبب بطابع خاص .

فما هى وضعية الحضارة المغربية بالنسبة للحضارات العالمية ؟ وما هى منزلتها كحضارة اسلامية بالنسبة للحضارات التى توالى على المغرب قبل الفتح الاسلامى ؟ وما هى علاقة الحضارة الشرقية بالحضارة المغربية فى عدوتى المغرب والاندىلس ؟

الحضارة فى مدلولها العام تستلزم طائفة من العناصر ، ابرزها : شيوع العمران وانتشار العلوم والفنون وحسن انتظام الاجتماع وتوازن الاقتصاد وعظمة الجهاز السياسى وضخامة المقومات العسكرية وما شئت من مظاهر العزة والمنعة والوفرة والامن والنظام . والحضارات تقوى وتضعف بحسب قوة تلك العناصر وضعفها ودرجة اكتمالها والصبغة التى تصطبغ بها ، فهناك حضارات يطفى فيها الجانب المادى على الجانب الروحى اى تسود فيها مظاهر العمران والمدنية الملموسة وتلك سمة يغلب وجودها فى الحضارات الاوربية بخلاف الحضارات الشرقية التى تضم الى جانب هيكلها المادى مجموعة روحية لا تزال الانسانية تستمد منها الى الآن سواء فى ميدان الفلسفة ام الاقتصاد ام الاجتماع وغير خاف ان اقدم الحضارات فى العالم هى الحضارة الشرقية من صينية وهندية ومصرية وآشورية وكلدانية وفينيقية وفارسية ولهذه الحضارات الاسيوية تراث فكرى ومادى كان ولا يزال من اجل دعائم الحضارة الغربية الآرية واقول مادى

الاجتماعية بل والدينية وقد اخترع البربر احرفا هجائية في الوقت الذي اخترع الكتعانيون احرفا خاصة بهم ، والحروف المعروفة بحروف تنفاغ لا تزال مستعملة عند البربر الطوارق الصحراويين الى يومنا هذا . وعند ما انكشف شعاع الحضارات القرطاجنية والرومانية والوندالية من المغرب انساق البربر في تيار حضارتهم الشرقية الاصلية التي تتبلور فيها مثل عليا ملكت منهم المشاعر وتغلغلت في الاعماق حيث كانوا — كالمغرب — يحبون الاستقلال ويشبثون بالحرية وتجمعهم مع العرب كما قال سديو Sédillot (ميول وعواطف واحدة ومبادئ متشابهة كحب الفخر والهيام بالحرية واکرام الضيف) .

وقد وجد البربر انفسهم بعد الفتح العربي الاسلامي ازاء شعب من بنى عمومتهم يشاطرهم مثلهم السامية وتقاليدهم الحرة فامتزج المنصران ولم يزد توالي القرون هذا التمازج الا قوة فتكونت مع الزمان مدينة مغربية مزودة القوام انصهر في بوتقتها تراثان كلاهما شرقي الاصل طبعه الاسلام ووسسته العروبة ببسبها الخاص

وهنا تظهر حيوية الاسلام في افريقيا الشمالية وخاصة تلك الحيوية التي اقر بها الفريدييل كما اقر بها قبله ويمده مستشرقون منصفون ، فالاسلام هو الذي استطاع وحده ان يخلق في هذه البلاد حضارة حقا دائمة مكتملة العناصر بعد ما عجزت عن ذلك الحضارتان القرطاجنية والرومانية رغم سموها واعنى بالحضارة الحق حضارة ترتكز على مقتضيات اجتماعية كوجود الامة واكتمال مقوماتها وتوفر العناصر الروحية والمادية الضرورية لقيام كيانها واستمرار وجودها وصيانة تراثها وتراثها وهذا الشيء قد أوجده الاسلام الذي انضوى المغرب تحت رايته طوال اربعة عشر قرنا .

وقد تطورت تلك الحضارة المغربية ضمن دائرة العروبة والاسلام محتفظة على مر العصور بروحها الشرقية الخالصة وتطورت بجانبها حضارة اخرى — هي حضارة الاندلس — استمدت روحها من تراث الشرق الذي نقله الفاتحون والمهاجرون واضفت العوامل والتفاعلات المحلية على تلك الروح جلبابا لم تكن لحمتها ولا سداه ليبتدأ الى الاعماق حيث ظلت السيطرة للروح الشرقية وحدها .

ان العرب لما فتحو افريقية والمغرب وجدوا للحضارات العالمية ؟ وما هي منزلتها كحضارة اسلامية الامم التي تنازعت السلطة في المغرب قبل دخول الاسلام اليه والحضارة القرطاجية قد قضى عليها طفيان الرومان الذين محقوا عاصمة قرطاج واستاصلوا من ربوعها الزاهرة جذور المكنية والعمران ثم بنوا على انقاضها شيئا جديدا ما لبث الوندال ان استاصلوه بدورهم ولكن لم يلبثوا في المغرب زهاء القرن حتى انتقض عليهم الروم سكان الامبراطورية الرومانية الشرقية (بيزانس) فارتكبوا فيهم ما ارتكبوه هم في الرومان وما ارتكبه الرومان في القرطاجيين وقد ذكر المؤرخون انه لم تمض ستة اشهر على انتصاب الروم حتى عفوا على آثار الوندال بالبلاد وخرج المغرب من سلسلة الاحتلال الاجنبية صفر اليد خاوي الوفاض منهوك القوى ووجد سكان البلاد — وهم البربر — انفسهم كما كانوا اول مرة بدائيين في حضارتهم وقد اكد الاستاذ الفريد بيل Alfred Bel في كتابه (ديانة الاسلام في بلاد البربر) (ص 64) ان مما لوحظ كون لغة القرطاجيين والرومان وكل ما استمده البربر خلال الاحتلال الروماني والقرطاجي — قد اندرس بعد انقضاء الاحتلال المذكور وان البربر عادوا الى استعمال لغتهم والى اساليبهم الوحشية مما يدلنا على انهم لم يستفيدوا قلامة ظفر من حضارة قرطاج ولا رومة . ولعل الاستاذ بيل نسي ان يقول بأن الشيء الذي ظل متغلغلا في روح البرابرة هو اللغة البونية التي كانت قريبة من العربية والتي امتد اشماعها على يد الكتعانيين العرب بين ابناء البربر من قرطاج الى قابس ومن طنجة الى بجاية .

ولكن هل كانت للبربر حضارة قبل سلسلة الاحتلال الاجنبية ؟ ام كانوا مغمورين في بوتقة الشعوب المتوحشة كما يزعم كثير من المؤرخين الاجانب ؟ يجب ان نعلم قبل كل شيء ان البربر اسويون لا افارقة وانهم هاجروا من آسيا الى المغرب عن طريق مصر والبلاد الليبية وجاء برابرة الاطلس المغربي على الخصوص من ربوع الشام حيث كان يجتمعهم قرب الجوار مع ابناء عمهم العرب الكتعانيين فالحضارة البربرية حضارة اسبوية بدائية ترتكز على الزراعة والرعى وقد وصف لنا مؤرخون اجانب التجانس الذي كان ملحوظا بين عادات العرب والبربر والذي كان يبلغ سويداء الحياة

ان للوضعية الجغرافية بعض الاثر في تشكيل العقلية نوعا ما ثم الانتاج الفكرى ثم مظاهر الحضارة ومع ذلك فقد ظلت الحضارتان الاندلسية والمغربية شرقيتين بعد ان تفاعلتا نحواً من ثلاثة قرون اى منذ عهد المرابطين الى عهد المرينيين تحت اشراف عاصمتى مراكش وفاس .

والثقافة الشرقية هي المنوال الذى حاك عليه رجال للفكر المغاربة منذ صدر الاسلام ومن تتبع جزئيات التراثين الشرقي والمغربي اسلوبا ونزعة وروحا لاحظ وحدة الجوهر اديا وفلسفة واجتماعا مع فروق سطحية مرجعها الى مقتضيات اللون المحلي .

فالحضارة المغربية شرقية بدءا ونهاية ليس فيها اى اثر يذكر للحضارة اللاتينية التى قدر لها ان تمر مر السحاب في هذه البلاد .

والحضارة الاندلسية حضارة مغربية صبيمة اى شرقية المبنى عربية المعنى وقد تناولت عواصم العدوتين وبالأخص مدينتى فاس وقرطبة مع عواصم الشرق في حمل راية الحضارة العربية الاسلامية في العالم ايام كان الجهل رابضا بكله الثقيل على اوربا فكانت فاس مركزا للاشعاع الفكرى والروحي يستمد من نبراسه الاروبيون كما هو معلوم عند من له ادنى الملم بتاريخ الحضارات .

وتراث العروبة نفسه لم يكتمل في كثير من مقوماته الا بمساهمة المغاربة في بناء صرحه كالشريف الادريسي (استاذ اوربا) بجغرافيته وابن بطوطة برحلاته وابن خلدون باجتماعياته والحامى باشراراته وابن رشد بفلسفته ومفقه وطبه وابن الخطيب بادبياته ونكاته (التي يبد بها الجاحظ في كثير من الاحيان) وابن حزم بتنسيقاته الفلسفية والدينية وابن طفيل بنظرياته في الفلسفة الفطرية .

فنحن معشر المغاربة بعنصرينا امة عربية المحتد شرقية الروح اسلامية العقيدة وحضارتنا حضارة شرقية عربية اسلامية في جوهرها ومقوماتها .

وهي حضارة تتمثل فيها كل المؤهلات التى تتكون الحضارة من بعضها فضلا عن مجموعها .

وقد عاش المغرب والاندلس متحدتين نحواً من ثلاثة قرون (من عهد المرابطين الى اوائل عهد المرينيين) وتم الانصهار والتمازج بين العنصرين اللذين كانت تجمعهما عوامل شتى لما كان بين البلدين من اواصر التزاور والمبادلة فكانت الوفود الاندلسية تترى على مراكش عاصمة المرابطين والموحدين ثم على فاس حاضرة المملكة المغربية في عهد المرينيين وكان افراد الشعب المغربي الذين يهبون بين الفينة والفينة لاجاد اخوانهم سكان العدو الشمالية يتصلون بالعناصر الاندلسية ويقتبسون منها فكرا واجتماعيا واستمر الاحتكاك عن طريق رجال مشهورين خلال القرنين الخامس والسادس حيث ظهر فلاسفة واطباء افاذا كابن طفيل وابن رشد وبنى زهر ولم يكد ينصف القرن السابع الهجرى الذى شهد سقوط معظم العواصم الاندلسية في قبضة الاسبان حتى تضخمت حركة الهجرة فكان لذلك اثره الفعال في حياة المغرب الناعمة وقد توالى سيل المهاجرين الاندلسيين ايام السعديين فنقلوا معهم نماذج الحضارة الاندلسية التى طبعت الحياة الاجتماعية والاقتصادية والفكرية المغربية وعند ما وقع النفي العام بالاندلس غصت رحاب بعض كبريات المدن المغربية ككاس وتطوان وسلا بطماء وشعراء وفناتين وتجار وارباب حرف ساهموا فعليا في صهر الحضارتين صهرا طبعهما منذ ذلك العهد بطابع الطرافة والرماسة والسمو وقد امتزجت كثير من العادات والمظاهر المقتبسة من الحضارتين امتزاجا عميقا تعذر معه رد كل منهما الى ينبوعه في كثير من الاحيان .

وقد ابرز الدكتور رينو Reinaud في كتابه الطب القديم بالمغرب (نشرة معهد الدروس العليا عدد 1 ص 72) « امتزاج تاريخ الاندلس بتاريخ المغرب تحت راية المرابطين والموحدين » فما هي اذن هذه العناصر الخالدة التى بلورت حضارة المغرب والتى لا تزال في روحها ومبناها كتيبة بدعم كل تطور عربى في العصر الحديث ؟

فمن ابرز مظاهر تراثنا الفكرى والحضارى الصالحة لنهضة عربية حديثة تلك العناصر الاساسية للمنهجية العلمية والتقنية التى ارتكر عليها الانبعاث في اوربا بعد عصر النهضة وانطواء العصور الوسطى التى ظلت قرابة الف عام الاطار الزمنى لازدهار الحضارة العربية في مختلف مجاليها الانسانية فقد برهن العرب

طوال قرون عن اصالة نادره وعن روح خلاقة وعن استعداد للتكيف فابدعوا منهجا تجريبيا رصينا لم يكن للانسانية عهد به وطوروا الاختصاص التقنى وحرروا الفكر وعززوا شمولية الكشف العلمى بربط الماضى بالحاضر ودعم التبادل بين الشرق والغرب فى تسامح وموضوعية وانكار للذات وتطلع عارم الى التضلع من اللغات واستكناه مختلف الاتجاهات والنظريات والمذاهب والنظم والعادات لدى الامم والشعوب تفتيقا للفكر وتوسيعا للافق وبذلك شادوا بنيانا شامخا ما زال الى الآن موثلا ومنبعا للفكر الانسانى النزيه .

فلنستعرض اذن الوانا من الكشف المغربى فى مجالات الطب والكيمياء والصيدة والعلوم الطبيعية والرياضية والفلكية وغيرها ثم بعض المجالى الاجتماعية والاقتصادية والفنية لنستشف مدى اسهام المغرب الاقصى فى دعم الكيان العربى الاسلامى خاصة والانسانى عامة — فكرا وحضارة — بعناصر لا تزال غضة فى منهجيتها وقوامها .

كان القرن الرابع فى الاندلس هو عصر النهضة تفتق فيه الفكر العربى سواء من حيث دراسة الفنون والتقنيات ام من حيث الاختراعات والكشوف العلمية (1) وهكذا برز ابن جلجل كأعظم طبيب طبائعى فى عصره عرب «مفردات ديستوريدس» وزاد عليها الادوية التى جهلها والتى كانت معروفة عند العرب كما برز ابو القاسم خلف بن عباس الزهراوى صاحب كتاب « التعريف لمن عجز عن التأليف » الذى كان اعظمهم مثل لفن الجراحة فى المدرسة العربية (2) اعتمد

واستند الى بحوثه جميع مؤلفى الجراحة فى القرون الوسطى وكتابه يعد اللبنة الاولى فى هذا العلم اذ هو اول من ربط الشرايين ووصف عملية تفتيت حصى المثانة واستخرجها بتشريح جراحى وعالج الشلل واستعمل خيوط الحرير فى رتق الجراحات والظاهرة التى امتاز بها هذا الكتاب هو روحه التجريبية وتركيز النصوص على آلات اثبت صورها فى كتاب هو اول تعبير للجراحة كعلم (3) ويرى لوكير (4) ان المغرب كان اشد اقطار الاسلام عمقا من الناحية العلمية يشهد بذلك — حسب القفطى (5) عدد اطباء والصيادلة المغاربة الذين رافقوا المعز الفاطمى الى مصر .

وكانت بفاس فى القرن الرابع « مدرسة طبية (6) كما كان البرابرة قبل هذا العصر يستعملون الحقن بجراثيم الجدرى لضمان حصانة المصاب (7) على ان القرنين الخامس والسادس قد عرفا فى المغرب الاقصى تحرر الفكر بصورة لم يسبق لها مثيل — كما قال لوكير (8) تشهد بذلك رعاية البلاط المراكشى لامثال ابن طفيل وابن باجة وابن رشد وبنى زهر وقد اتصل بهذا الفن علم الصيدلة وعلم العقاقير والفلاحة حيث يعتبر كتاب ابن العوام ابى زكرياء يحيى بن محمد عديم النظر فى الادب العربى (9) « لما يحتوى عليه من معارف تطبيقية ووثائق قديمة وثمينة » بل هو اعظم ما انتجه لا العرب وحدهم بل حتى العصور القديمة « وقد كان الشريف الادريسى السبتي من هذا الطراز فطاف فى آسيا واوربا ووصف نباتات كل قطر وصفا اصيلا (10) وكتابه فى الادوية ملء بالملاحظات

- (1) لوكير تاريخ الطب العربى ج 2 ص 350
- (2) لوكير ج 1 ص 334
- (3) لوكير ج 1 ص 456 ويوجد فى المكتبة الوطنية بالرباط ضمن مجموع عدد 1427 د جزء من هذا الكتاب يحتوى على 28 صورة للمكاوى وآلات التشريح .
- (4) ج 1 ص 407
- (5) « اخبار العلماء بأخبار الحكماء » ص 85 .
- (6) « شهرات نساء المغرب » للكانونى (مخطوط) نقلا عن « فن الاسنان بالمغرب الاقصى » لكاتب اوربى لم نستتب اسمه فى المخطوطة .
- (7) كودار — وصف المغرب وتاريخه ج 1 ص 239
- (8) ج 2 ص 72 .
- (9) ج 2 ص 11 و 110
- (10) الاعلام للمراكشى ج 3 ص 34

من اربعة وعشرين كتابا منها « قاتون الطب » في اثني عشر مجلدا وفياتيكيوم (12) في الطب العام في سبعة اجزاء .

ونبع في الشرق العربي في هذا العصر علماء افاضوا تساوقت ابتكاراتهم مع زملائهم في الغرب منهم السويدي صاحب « التذكرة » المتوفى عام 691 هـ وابن ابي اصيبعة وجمال الدين القفطى على بن يوسف المصري (646 هـ) وعبد اللطيف البغدادي (629 هـ) (حيث امتاز في وصف اعشاب مصر) وابن النفيس المصري (687 هـ) الذي كان اعظم اطباء عصره ولعل مما ساعد على تطور الطب وما اتصل به من علوم سهر المنصور الموحدى على مصالح الاطباء وتنظيمه لمهنة الطب وقد سبقه الى ذلك الخليفة المقتدر الذي فرض على الاطباء تأدية امتحان تقنى يبلغ عدد المتخرجين ببغداد عام 319 هـ ثمانمائة وستين طبيباً (13) وقد اجري اول امتحان للصيدلة ايام المعتصم عام 221 هـ .

وكانت التجربة هي الطريقة العادية عند الاطباء حيث ظهر كتاب التذكرة لابي العلاء زهر بن زهر الاندلسي الذي كان والده ابو مروان عبد الملك بن ابي بكر رئيس الطب ببغداد ثم بمصر والقروان (14) وهو كتاب ترجم الى الفرنسية عام 1911 م بعد ان تعددت ترجماته عشر مرات بين 1490 و 1554 م) كمجموعة من الملاحظات سجلها ابو العلاء لولده ابن زهر لتعريفه بالادواء الغالبة في مراكش وبالأدوية

الشخصية اقتبس منه ابن البيطار في مائتي موضع من كتابه في الاعشاب (لوكلير ج 2 ص 8) واعتمد عليه وحده في ثلاثين موضعاً (ص 68) كما اعتمد استاذ فابن البيطار ابو العباس النبطي وهو مع تلميذه ابرز العلماء النباتيين العرب الذين لم ينجب الشرق من يضاهيهم في هذه الآونة عدا فخر الدين الرازي وقد استطاع الاندلس بفضل شبكة علمائه — كما يقول لوكلير (11) — ان يحمل راية الفلسفة والطب في العالم الاسلامي ويفضل هذا الانبعاث العربي في الاندلس صارت اوربا تنفض عنها اودية الركود واصبح المسيحيون يتوافدون على طليطلة للارتشاف من معين العلم وقد استنجد استق المدينة بعلماء العرب لعلاج الفقر اللاتيني واذ ذاك بدأت ترجمة مصنفات العرب العلمية فنقل جيرار دوكريمون وحده من العربية الى اللاتينية ستة وسبعين كتاباً عربياً او اغريقيا مغرباً على ان حركة الترجمة بدأت في المغرب العربي منذ القرن الرابع فهذا قسطنطين التونسي الصقلي قد اسس مدرسة سالرنا وهي اول مدرسة من نوعها في اوربا كانت مبعث انوار الطب الحديث في العالم الغربي شارك في التدريس بها الطبيب يونس العربي الفاسي (اللسان العربي ج 5 — بحث الدكتور احمد مكي) وقد ولد عام 400 بتونس (وتوفى عام 475 هـ) وظلت المخطوطات الطبية العربية التي حملها الى سالرنا غذاء اوربا عدة قرون وقد ترجم لللاتينية اهم كتب الطب العربي كزاد المسافر لابن الجزار وكتب للرازي واسحق بن سليمان الاسرائيلي والفرجاني

(11) ج 2 ص 72 وقد اعتمد ابن البيطار ايضا على عبد الله بن محمد بن صالح الكتامي الحريري الشجار الذي كانت له حانوت بمراكش عام 583 هـ (اللسان العربي ج 6 ص 1968) اما النبطي فهو احمد بن محمد بن مفرج المعروف بابن الرومية او ابن العشاب ولد باشبيلية عام 561 هـ) ودرس الاعشاب شخصياً دون اعتماد على ديسقوريدس وجالينوس واقتبس منه تلميذه ابن البيطار ذوقه الخاص وقد رحل الى الشرق عام 613 هـ او 614 هـ بعد ما درس اعشاب الاندلس والمغرب وصنف معجماً للحشائش وفاق اهل زمانه في معرفة النبات وتوفى باشبيلية عام 638 هـ (نفح الطيب ج 2 ص 635) ونذكر لوكلير بصدد ابن البيطار (ج 2 ص 225) انه اعظم نباتي العرب وقد تنقل في جبال الشام صحبة رسام كان يصور له الاعشاب وخلف لنا اعظم مجموعة في العلوم الطبيعية وقد عينه الملك الافضل في مصر رئيس عشابي القاهرة وقيل رئيس اطباء مصر (النفح ج 2 ص 683) وكتابه « جامع المفردات » اكمل ما صنفه العرب في الطب يحتوي على الفى وصفة للعقاقير ترجمه لوكلير الى الفرنسية وقد كان النبطي — حسب احاطة ابن الخطيب اماماً في الحديث حافظاً ناقداً .

(12) او (Viaticque) ومعناه زاد المسافر

(13) القفطى ص 130

(14) نفح الطيب للمقرى ج 1 ص 445

المناسبة لها ولا يابى العلاء ايضا « مجربات » طبية
جمعت بمراكش عام 526 هـ يوجد مخطوط لها في
الاسكوريال (رقم 844) ولعل ولده ابن زهر ابا
مروان عبد الملك مؤلف كتابى « الاقتصاد »
و « التيسير » قد بذ سابقه حيث اعتبر اعظم من ابن
سينا ولا يعمله سوى الرازى فى الشرق (15) وكان
لا يعالج الا بعد الفحص الدقيق وجس النبض والنظر
الى قوارير البول لتحليله وقد نهج ابن زهر خاصة فى
كتاب « التيسير » اسلوبا جديدا فى الحكمة القياسية
مستخدما التحميم العقلى للوصول الى احسن
النتائج فهو طبيب التجربة يصف الدواء على غرار
اطباء عصرنا ويأثر الصيدلة لتجربة الادوية بنفسه
ولذلك توصل بفضل قياساته الطبية وتجربته
الشخصية فى البلاط المراكشى الى الكشف عن امراض
جديدة لم تدرس قبله كالامراض الرئوية (التى منها
تشريح القصبة فى مرض الذبحة) وكذلك التخصص
فى الجهاز الهضمى حيث استعمل الانابيب المجهزة
لتغذية المساكين بعسر البلع والحقن المغذية واكتشف
طفلية الجرب وسماها صؤابة الجرب وارتركز على
الطبيعة لعلاج الادواء (16) وكان سر نجاحه هو
تشبعه بروح العصر الحديث حيث كان يتسم مثلا
بنكران الذات فينسى نفسه ويستغرق فى مريضه وقد
عرضت عليه حالات خطيرة حاول ان يعيشها مستمدا
من ذكرياته وتجاربته ومنطقه وقد ابرز كودار (17)
Godard هذه الميزة عند ابن زهر فلكد انه استعاض
بالمهج التجريبي والطريقة العقلية عن التقليد فى
ممارسة فن الطب وكانت له عبقرية فذة تطورت
بفضلها شعب ثلاث حاول توحيدها وهى الصيدلة
والجراحة والطب العام ولعل من النقص الملحوظ فى

عصرنا الحاضر تباعد هذه العناصر المتزايد بعضها
عن بعض اما الحفيد ابو بكر بن ابي مروان (596 هـ)
فقد اضاف الى تضلعه فى الطب مشاركته فى العلوم
الاسلامية حيث كان محدثا يحفظ صحيح البخارى
باسانيده (18) ولم يكن فى زمانه اعلم منه باللغة وكان
شاعرا يحفظ ديوانذى الرمة وهو ثلثلغة العرب (19)
وظاهرة المشاركة هذه توفرت فى كثير من الاطباء كلبى
جعفر بن هارون الترجالى تلميذ ابي بكر المعافرى فى
علم الحديث والمتخصص فى طب العيون وابى يحيى
هائى بن الحسن اللخمى الفرناطى المشارك فى
لحديث والاصول والطب الذى (20) تتلمذ لابن غرتونا
بغاس ومن الاطباء الذين كان لهم باع طويل فى التجارب
العلمية الوزير ابو بكر محمد بن يحيى بن الصائغ
المعروف بابن باجة شيخ ابن رشد المتوفى ببغاس عام
533 هـ (21) وقد تعاون معه تلميذه ابو الحسن
سفيان الاندلسى المتوفى عام 537 هـ فى تأليف كتاب
التجربتين (22) على ان ابن رشد نفسه ضرب اروغ
مثل فى المنهجية التجريبية فاقترح فى شرحه لابن سينا
ما يصفه الاطباء اليوم وهو تبديل الهواء فى الامراض
الرئوية مشيرا الى جزيرة العرب وبلاد النوبة كمراكز
شتوية (23) وابن رشد هو اول من اشار الى الدورة
الدموية الكبرى وعلمها فى كتابه « الكليات » الذى
استمد منه ويليام هارفى (William Harvey) .
معظم نظرياته وقد سبقه ابن النفيس المصرى
الى الكشف عن الدورة الدموية الصغرى او الرئوية
قبل الغربيين بثلاثة قرون (24) .

وهذه الروح العلمية الفياضة هى التى تمخض
عنها ما اشار اليه مؤرخ فرنسى من الد اعداء العرب
هو رونان (Renan) فى كتابه « Averroès et

15) فكر ابن عبد الملك فى « الذيل والتكملة » ان ابن رشد كان يفضل ابن زهر على غيره من اهل

عصره .

16) حضارة العرب — كوستاف لويون — الطبعة الفرنسية ص 530 .

17) تاريخ المغرب ص 452 .

18) الاتيس المطرب ج 2 ص 180

19) المطرب لابن دحية

20) ابن ابي اصيبعة ج 2 ص 75

21) جنوة الاقتباس لابن القاضى ص 335 .

22) ابن ابي اصيبعة ج 2 ص 63 والقنطى ص

23) لوكلير ج 2 ص 79

24) حضارة العرب ص 531 (الطبعة الفرنسية)

«l'Averroïsme» (ابن رشد ومذهبه) من اعتراف كريسطوف كولومب في رسالة تركها بعد موته بأن الذى اوحى اليه بوجود قارة جديدة وراء المحيط هو ابن رشد المغربى في كتابه «الكليات» على ان مجلة «نيوزيك» الامريكية اكدت (في عدد ابريل 1960) ان العرب انطلقوا قبل سنة 1100 م (اي قبل كريسطوف كولومب بأربعة قرون) من ميناء الدار البيضاء بالمغرب الاقصى فرسوا في عدة مواضع على الساحل الامريكى واكد هذه النظرية كثير من العلماء (25).

اما المارستانات وهى المستشفيات والمصحات فقد وصف عبد الواحد المراكشى (26) الذى عاش فى بغداد — المستشفى الوحى قائلًا :

«وبنى اى المنصور الوحى بمراكش بيمارستانا ما اظن ان فى الدنيا مثله وذلك انه تخير ساحة فسيحة باعدل موضع فى البلد وامر البنائين باتقانه على احسن الوجوه فأتقنوا فيه من النقوش البديعة والزخارف المحكمة ما زاد على الاقتراح وامر ان يفرس فيه مع ذلك من جميع الاشجار المشومات والمكولات واجرى فيه مياه كثيرة تدور على جميع البيوت زيادة على اربع برك فى وسط احداها رخام ابيض ثم امر له من الفرش النفيسة من انواع الصوف والكتان والحرير والاديم وغيره بما يزيد على الوصف ويأتى فوق النعت واجرى له ثلاثين ديناراً فى كل يوم يرسم الطعام وما ينفق عليه خاصة خارجاً عما جلب اليه من الادوية واقام فيه الصيدلة لعمل الاشربة والادهان والاكحال واعد فيه للمرضى ثياب ليل ونهار للنوم من جهاز الصيف والشتاء فاذا نقه المريض فان كان فقيراً أمر له عند خروجه بمال يعيش به ريثما يستقل وان كان غنياً هفّع له ماله .. ولم يقصره على الفقراء دون الاغنياء بل كل من مرض بمراكش من غريب حمل اليه وعولج الى ان يستريح او يموت وكان فى كل جمعة بعد صلاته يركب ويدخله يعود المرضى .. ولم يزل مستمرا على هذا الى ان مات .

وذكر ميللى (فى كتابه الموحدون) المؤلف عام 1923 ص 129 ان هذا المستشفى « لا يخلف وراءه مصحات اوربا المسيحية فحسب بل تخجل منه حتى اليوم مستشفيات باريس » .

ولا بدع اذا كان مستشفى الموحدين بهذه المثابة بالنسبة لاوروبا فقد قال ولتر فى مختصر التاريخ: « ازدهر علم الطب والتداوى عند العرب على حين كان الاوربيون يجهلون هذا العلم الشريف ويحتقرون اربابه اذ ان الكنيسة كانت قد حرمتهم عليهم وحصرت التداوى فى زيارة الكنائس والاستشفاء بنخائير القديسين وبالتعاوى والرقى التى كان يبيعها رجال الدين» الى ان قال : وكان الاوربيون يستنكفون من النظافة لانها تشبه الوضوء عند المسلمين » .

وقد كان الاوربيون يضطرون الى اللجوء للمستشفيات العربية فهذا الملك شانه توجّه الى قرطبة من اجل العلاج من مرض الاستسقاء (لوكير ج 2 ص 351) .

وبدا افول الحركة الفكرية فى المغرب آخر الدولة المرينية بعد سقوط غرناطة اواخر القرن العاشر الهجرى وردود فعل الاسبان الانتقامية (Reconquista) فلم ينبغ فى البحث العلمى عدا رجال قلائل امثال الوزير الفسانى مؤلف كتاب «حديقة الازهار» الذى نشر عنه الدكتور رينو (27) دراسة اكد فيها ان هذا الكتاب يمتاز بمنهجه الواضح جدا فى الوصف النباتى الذى يتسم غالبا بطابع الاصاله والطرافة مع محاولة مفيدة لترتيب ثلاثى يدخل عنصرا جديدا فى وصف اعشاب المدرسة الصيدلية الشرقية وقد ظل المغرب مع ذلك خلال العصور الاخيرة من تاريخه — بالرغم عن احتلال البرتغال والاسبان لبعض مراسيه ومحاولة تدخل الاتراك فى شؤونه — يواصل منهجه التجريبي على نطاق ضيق حيث ظهرت اساليب (28) لمعالجة انواع الرمد وتشريح العين لازالة غشاوتها وتخدير —

(25) نشرة المعهد المصرى 26 عام 1934 — بحث بقلم ماكس ما يرهوب ص 33 وقد اشار ابن النفيس الى ذلك فى « الكتاب الشامل فى الطب » الذى كان يحتوى على ثلاثمائة مجلد اهدى منها المؤلف ثمانين مجلدا لمستشفى قلاوون .

(26) راجع الخليج العربى فى تاريخه السياسى ونهضته الحديثة ص 13

(27) المعجب ص 177 — كتاب ميللى (Les Almohades - millet) — 1923 ص 129

(28) نشرة معهد الدروس المغربية العليا ج 18 ص 195

الجبر والمقابلة الى اللاتينية وقد ابدع العرب في علم
المثلثات نظرا لتطبيقاتها في علم الفلك .

واسهم الغرب الاسلامي اى المغرب الكبير والاندلس
في بلورة هذا الاثماع العلمى العربى فظهر ابن حزة
المغربى في القرن الرابع واستعمل طرقا جديدة في
اللفريتم ، واشتهر في الاندلس ابو عبيدة مسلم بن
احمد ويحيى بن يحيى المعروف بابن السمينه وابو
القاسم اصبح بن السمع (له تأليف منها المدخل الى
الهندسة في تفسير اقليدس وكتاب كبيرى الهندسة)
وابو القاسم بن الصغار وابو الحسن الزهراوى (كان
عالما بالعدد والطب والهندسة له كتاب شريف في
المعاملات) وابو الحكم عمر الكرماتى (من الراشخين
في العدد والهندسة) وابو مسلم بن خلدون (كان
متصرفا في الفلسفة والهندسة والنجوم والطب)
وتلميذه ابو الحسن مختار الرعينى (كان بصيرا
بالهندسة والنجوم) وعبد الله بن احمد السرقسطى
(ناقد في الهندسة والعدد) ومحمد بن الليث (بارع
في العدد والهندسة) وابو حى القرطبى (بصير
بالهندسة رحل الى مصر عام 442 هـ) وابو الوقى
الطليطلى (الهندسة) (النسخ ج 2 ص 874) .

وقد احصينا في «معجم الرياضيين بالمغرب الاقصى»
الذى نشرناه عام 1385 هـ - 1965 م في مجلة
« اللسان العربى » (العدد الثالث ص 134) نحو من
مائة وثلاثين من المهندسين والرياضيين وعلماء الهيئة
المغاربية الذين برزوا في هذا القطاع العلمى الهام
وخلفوا لنا تراثا رائعا اسهموا به في دعم صرح
الحضارة والبحث العلمى في العالم ومن بين هؤلاء :

1 - المهندس الحاج يعيش الذى بنى لعبد المومن
ابن على الموحدى مقصورة وضعت على حركات
هندسية ترفع لخروجه وتنخفض لدخوله .

2 - المهندس عبيد الله بن يونس الذى استخرج
مياه السقى بصنعة هندسية (35) .

المرضى قبل العمليات الجراحية واستخدام وسائل
الايجاء والتئويم مع المهارة في طب الاسنان وقد اعطانا
الطبيب احمد بن حمدون بن الحاج (29) المتوفى عام
1316 هـ (30) للمرة الاولى في تاريخ المغرب تقسيما
فنيا للدوية كما صنف الشريف العلمى الذى درس
بالاسبطالية الكبرى بالقاهرة عام 1291 هـ كتاب
« ضياء النيراس في حل مفردات الانطاكى بلغة اهل
فاس » (طبع عام 1318 هـ) يحتوى على مفردات
بربرية ولايتينية وافرنجية مرادفة للمصطلحات الطبية
العربية مع تليل ذلك بالمصطلحات الحديثة كالتصعيد
والتقطير ووصف العمليات العلمية وهو كتاب متين
التليل يعتبر نقطة تحول في تاريخ الطب المغربى .

ولنضرب الآن مثلا آخر بشعبة من العلوم هى
الرياضيات فقد كان العرب اساتذة النهضة الاوربية
في الحساب (31) وقد فند سيديو (Sédillot) (32)
ما زعمه بعض المستشرقين من ان علماء العرب انما
اقتبسوا من الاغريق مثيرا الى ما ابدعه الفكر
العربى في هذا المجال مثل ادراج الخطوط الماسة
للدائرة (tangentes) في الحسابات والاستعاضة
عن الاساليب العتيقة بحلول مبسطة اصبحت اساسا
في علم حساب المثلثات الحديث (trigonométrie)

وقد لاحظ العالم شال (Chasles) انه كان للعرب
فضل التفكير في تطبيق الجبر على الهندسة وتاكّد ذلك
بعد ان نشرت مؤلفات محمد بن موسى الخوارزمى
منذ عام 1836 م من طرف روزن (Rosen) ومن بينها
بحث في الجبر حلت مشاكله في المعادلات الثلاثية
بطريق هندسية ويقا لبان الخوارزمى هذا لم يحل سوى
المعادلات من الدرجة الثانية (équation de 2° degré)

وان الذى حل معادلات الدرجة الثالثة هو عمر بن
ابراهيم (33) ولعل لفظتى الفوريتم واللوغريتم مشتقتان
من اسم الخوارزمى الذى يعتبر اقدم الرياضيين العرب
حيث عاش في عصر المأمون العباسى ونقلت كتبه في

(29) راجع كتابنا « تاريخ الطب والاطباء بالمغرب » 1380 - 1960 ص 72

(30) رينو ص 8

(31) الاعلام للمراكشى ج 2 ص 246

(32) كوتيسى (Gautier) في كتابه عادات المسلمين واعرافهم ص 238 .

(33) تاريخ الطب العربى - لوكلير ج 1 ص 320

(34) حاضر العالم الاسلامى ج 1 ص 151 .

(35) نزهة المشتاق للادريسي ص 67 من الجزء المطبوع حول افريقية والاندلس .

3 - ابن الياهمين الذى ولد بفاس اواسط القرن السادس والخبر في الجبر والمقابلة .

4 - المهندس المعماري ابو عمران موسى بن حسن بن ابي شامة مصمم بعض الاجنحة في جامعة القرويين عام 599 هـ .

5 - ابن البنا المراكشي (المتوفى عام 721 هـ) صاحب مقدمة اقليدس ومختصر الفلاحة والاصول في الجبر والمقابلة وتلخيص في الحساب شرحه ابن المجدى احمد بن رجب بن طنبغا القاهري عام 850 هـ واختصره ابن الهائم القرافي المتوفى عام 815 هـ .

6 - على اليفرنى المكناسي (734 هـ) وهو امام الرياضيات في عصره (36) .

7 - على بن احمد التلمساني صانع منجاة المدرسة العنانية بفاس عام 758 هـ (37) .

8 - امير المؤمنين في الحساب ابراهيم المصمودي 912 هـ (38) .

9 - الفلكي احمد الغزالي الفاسي (39) 920 هـ .

10 - محمد بن هلال امام التعاليم في سبته وشارح المجسطي في الهيئة (949 هـ) .

11 - ابن مشون محمد بن يوسف السبتي صاحب الرجز في الجبر والمقابلة (40) عام (989 هـ) .

12 - السلطان احمد المنصور الذهبي الذي كان يفك كل يوم شكلا من كتاب اقليدس (41) .

13 - شيخ جماعة الفنون بهراكنس احمد التتليتي الاختصاصي في الرياضيات والمساحات والهندسة وهو من رجال القرن الحادي عشر .

14 - محمد بن محمد بن سليمان الروداني الفاسي (1094 هـ) الخبر الاوحد في الرياضيات والهيئة والمخروطات والمتوسطات والمساحة وقد عاش في بغداد فذاع صيته واخترع آلة فلكية وصفها صاحب نشر المثنى (ص 87) .

15 - المنجم الرياضي محمد المسناوي مريـنو (1207 هـ) صاحب كتاب « تقدير قرض النفقات » في علم الاقتصاد الرياضي .

16 - الاستاذ المعطى مريـنو (1223 هـ) صاحب كتاب « كنز الاسرار في تعديل الكواكب » وكتاب ابعاد النيرات ورصده وكتاب المزاوول .

17 - احمد بن عبد الله التتاني الصويري (1320 هـ) صاحب المؤلفات العديدة في الجبر والمقابلة واللوغاريتم والذي حل اشكالا هندسية نقلها الى الرياضيات وكان رئيس الرياضيين والمهندسين ورئيس المدفعية في الجيش المغربي .

واذا اعتبرنا شعبة اخرى من العلوم التطبيقية كعلم الجغرافيا نلاحظ ان الخرائط العربية الاولى كانت عبارة عن خلاصة لما ورد عن بطليموس وظل العالم طوال الف عام عالية على هذا الجغرافي والفلكي اليوناني الذي هو من رجال القرن الثاني الميلادي حتى ظهر الشريف الادريسي الذي وصفه كوتبي (42) بأنه استاذ اوربا في الجغرافية حيث ظل الغربيون يستمدون ازيد من ثلاثة قرون من خريطته العالمية فكان اطول باعا من بطليموس واكثر دقة في ملاحظاته وتقاريراته لان بطليموس احميت عليه في تقديره للمسافة الفاصلة بين طنجة والاسكندرية وحدها اغلاط بلغت ثمان عشرة درجة طولية بينما نقل اغلاط تقديرات الادريسي للاطوال ما بين طنجة وطرابلس الغرب عن درجة واحدة وقد نبه الادريسي على هذه

(36) درة الحجال ص 441

(37) جنوة الاقتباس لابن القاضي ص 31

(38) درة الحجال ص 107 وسلوة الانفاس (ج 2 ص 4) .

(39) درة الحجال ص 91

(40) الاعلام للبراكشي ج 3 ص 263

(41) درة الحجال ص 176 + الدرّة ص 51

(42) في كتابه عادلت واعراف المسلمين عند ما تعرض له .

والزجاج البلورى الرقيق الذى سبقت به مصر
صناعات بروسيا وتشيكوسلوفاكيا اوائل هذا القرن

وقد جعل الموحدون — كما يقول اندرى جوليان فى
تاريخ افريقيا الشمالية — حدا للفوضى المالية التى
كان يتخبط فيها ملوك الطوائف فظهر عنصر جديد
هو التصنيع واصبحت سبقة مركزا دوليا لانتاج الورق
يضاهيه جودة ورق شاطبة فى الاندلس وسامرا فى
العراق وكانت هذه المراكز تمد اوربا الشرقية والغربية
وقد عثر المستشرق كازيرى فى الاسكوريال على
مخطوط عربى من ورق القطن يرجع تاريخه الى عام
1009 م (وهو هذا العصر بالذات) يدل على ان
الورق المقصود كان من القطن وقد سبق المغرب اوربا
الى صنعه ومعلوم ان العرب اول من صنع الكاغد من
الخرق البالية (لوبون — حضارة العرب — ص
519) وقد اصبحت فى فاس وحدها ايام الموحدين
3094 مصنعا للنسيج و 47 للصابون و 12 لتسبيك
الحديد والنحاس واحد عشر معملا للزجاج واربعمائة
لصنع الورق او الكاغد (43) علاوة على الثروة
المعدنية التى اتخذت موادها الاولى من حديد ونحاس
ومضة وتوتيا وغيرها منطلقا لسلسلة مصانع انتشرت
بسرعة فى حواضر المغرب وبواديها بالاضافة الى مصانع
السكر فازدهرت المبادلات بين المغرب ودول اوربا
وخاصة موانئ بيزة وجنوة والبندقية ومرسيلية وكان
المسلمون آنذاك هم اول من نظم الاساليب التجارية
طبقا لمقتضيات التجارة الدولية — كما يقول اندرى
جوليان — الذى اكد ان الاسطول المغربى اصبحت آنذاك
اول اسطول فى البحر الابيض المتوسط .

ونفتح هنا قوسا صغيرة لنؤكد ان هذه الروح
القانونية نجدها متبلورة فى مواقف المغرب الذى كان
يقف دائما فى صف الشعوب التواقفة الى التحرر
كشعب الولايات المتحدة التى كان المغرب اول دولة
اعترفت باستقلاله فى العالم ايام السلطان محمد بن
عبد الله المحدث الفقيه السلفى (المتوفى عام 1204 هـ)
الذى كانت دول اوربية تدفع لاسطوله جزية سنوية
لحمايتها من القرصنة فى البحر الابيض المتوسط كما
برهن عن روح دولية اكد المؤرخ والحقوقي الفرنسى

الاغلاط ومعلوم ان الاقتصاد فى كل امة يعد قواما
جوهريا فى تطورها الحيوى وقد اسهم العامل
الاقتصادى فى بلورة الحضارة المغربية منذ فجر الاسلام
فالامة المغربية قد استقبلت الفاتح العربى كححرر لا
سيما وان العرب حملوا معهم الى افريقيا كما يقول
كوتى « حكومة نظلمية مجهزة بجميع القومات
المسكينة والادارية » فكان فى ذلك الخلاص من
جبايات مرهقة فرضها الرومان الذين احوالوا الشمال
الافريقى الى « مخزن محصولات » لامداد روما فكان
الامبراطور الروماني نفسه اكبر ملاك عقارى فى
المغرب الكبير ومنذ اواخر القرن الثانى الهجرى انطلق
الاقتصاد المغربى من عقاله فانتظم واصبح « منطقيا
قارا » — كما وصفه المؤرخ طيراس فى تاريخ المغرب
وامست عاصمته الادريسية فاس مركزا اقتصاديا
وفكريا رسم الخطوط الاولى للوحدة القومية والتخفيف
من عوامل الانفصالية والتشتت القبلى لا سيما بعد
ان تجمعت فى العاصمة الجديدة ثمانمائة عائلة اندلسية
هاجرت اليها (عام 202 هـ — 818 م) بعد وقعة
الريش وقبلها ثلاثمائة اسرة قيروانية (198 هـ) وقد
شاهد المغرب اول عملة وطنية مستقلة عام 185 هـ
حيث تبلور الاشعاع الحضارى باستقرار اقوى (حتى
فى الصحراء) وتساعد العمران وانبثاق مدة جديدة
وتعززت الفلاحة التى كانت محور الاقتصاد بأعمال
الرى الكبرى وازدهرت الحركة التجارية فكاثرت
سجلهااسة الصحراوية مركزا للقوافل بين المغرب
والبحره وبغداد وكانت الظاهرة الاساسية التى
اتسم بها هذا العصر هى الطبائنية والامن مما شجع
ظهور البواخر الاولى لانتشار الضيع الزراعية وما
لبث هذا الاقتصاد ان تكيف فانتسعت مصادره وموارده
باتحاد الاندلس والمغرب وهكذا فعند ما كشف عباس
ابن فرناس الاندلسى وهو اول طيار عربى بالاضافة
الى الجوهرى استخدم آلة لامتطاء الاثير — طريقة
جديدة لصنع الزجاج من الحجر تكونت آنذاك مجموعة
من الصناعات سبقت البندقية الى كثير من الكشوف
وعمرت العالم بأصناف المنجزات من اقتداح وعلب
وانابيب وآوان كيمياوية وكانت المصانع تنفخ الزجاج
وتفرغه وتلححه وتعزز بذلك من الترميع فى دمشق

الكبير. جاك كايي أنه سبق بها ما عرفته أوربا في العصر الحاضر .

وكانت هذه الفترة التي استمرت أزيد من ثلاثة قرون أروع فترة في تاريخ وحدة المغرب العربي تفتحت خلالها معالم الحضارة ومراسم العمارة وبدائع الفن انضافت الى قوة التخطيط الاجتماعي الذي تبلور في تأمين السبل الصحراوية والتفجر الديمغرافي وتكاثر المارستانات وتزايد المدارس والاحياء الجامعية وانطلاق مصانع المراهم والادهان والاكحال (44) ولعل من ابرز مظاهر هذا الازدهار آخر ايام بنى مريم القوة الشرائية للتقود حيث لاحظ ابن بطوطة انها كانت تعدل في المغرب ثلاثة اضعافها بمصر وبالرغم من النكبات التي بدأت تترى على المغرب بعد نكبة « الفردوس المفقود » فان المنصور السعدي استطاع اواخر القرن العاشر الهجري في معركة « وادي المخازن » ايقاف غزو البرتغال للشواطئ المغربية مع تقليص النفوذ الاستعماري البرتغالي في البحر الهندي والخليج العربي كما كان اسطوله قبل ذلك رادعا للصليبيين في سواحل الشام وفلسطين وصعقت أوربا بعد الهزيمة النكراء التي الحقها المغرب بالبرتغال الذي فقد استقلاله من جراء هذه الضربة ازيد من ستين سنة نصارت الدول الغربية تخطب ود السلطان السعدي واقرخت انجلترا عليه التعاون لتأسيس كوندومنيوم الهند ونفق الدينار الذهبي المغربي على الصعيد العالمي وتساعد التصنيع وخاصة تكرير السكر الذي اصبح البلاطان الفرنسي والانجليزي يتنافسان في اقتنائه كأجود ما ينتجه العالم وبعث المغرب تقوية لمبادلاته مع أوربا عملاء للدعاية لمنتجاته كما شارك في المعارض الدولية كمعرض باريس عام 1285 هـ وحمل الصناعة الاهلية من المزاحمات الاجنبية وبذلك برهن في شتى المجالات على تساوقه مع ما يستجد من معطيات الحضارة بأوربا وقد عرف المغرب انظمة اقتصادية واجتماعية سبقت الاحداث والكشوف الاوربية فقد منحت الدولة مثلا القروض للدور التجارية لجلب المحاصيل اعوام الجفاف وبيعه بأثمان في متناول

الشعب كما كانت تتخذ كل الوسائل لالغاء ما يزيد على الاعشار والزكوات من مكوس وجبايات تخفيفا لوطأتها على الشعب وعلى اقتصاديات البلاد ولعل المغرب كان من اكثر الشعوب ايمانا بفعالية العمل كراس مال قبل ظهور نظرية كارل ماركس التي يمتد انصار الاشتراكية والشيوعية بأنها مكسب جديد للانسانية فقد أكد ابن خلدون في تاريخه (45) ان « الكسب هو قيمة الاعمال البشرية » فلذلك لاحظ ماسينيون في احصاء قام به عام 1924 للصناعة المغربية (46) ان عدد رجال الحرف في المدن المغربية يعادل نصف عدد السكان كما اعترف المؤرخون الاجانب بأن نظام الحنطى عندنا وهو اثنى بما عرف اخيرا في ايطاليا (système des corporations)

كان يعمل في اطار من الحرية الكاملة لم يفسد الا باحتكاكه بنظريات أوربا وقد امتاز الانتاج الصناعي المغربي بجوده نادرة فتحت له منافذ في أوربا الى آخر القرن الماضي ويكنى دليلا على ذلك قطن المغرب الذي كان فيه نوعان معروفان في أوربا « سى - ايسلاند » لهما سدى حريري طويل من الطراز الامريكى وقد تساوق مع ازدهار التصنيع ازدهار الفلاحة حيث بلغت السواثم وحدها خمسين مليون رأس من الغنم والمعز ستة ملايين رأس من البقر (47) ويرجع التفجر الديمغرافي بالمغرب لثقل الوفيات ولارتفاع معدل الاعمار الى ما بين 65 و 70 سنة في الحواضر ومائة في الاطلس بفضل انتشار المارستانات والملاجئ الصحية وخلو المجتمع الاسلامي من امراض العصر الناتجة عن الخمر او الزنا مثل الامراض التناسلية التي عرفت بالمغرب بالامراض الاسبانية او الفرنسية)

اما في الحقل الجامعي فقد احتفل المغرب منذ سنوات بذكرى مرور احدى عشر قرنا على تأسيس جامعة القرويين التي ما فتئ المؤرخون الغربيون يعتبرونها اول مدرسة في الدنيا « لا تزال قائمة الى الآن كما اعتبروا مدينة فاس في افريقيا اثنى بأثينا عاصمة الفكر بأوربا واعتبرها المشاركة انفسهم وخاصة منهم العراقيين كبغداد المغرب (48) اى

(44) المعجب لعبد الواحد المراكشى ص 177

(45) م 1 - ق 3 ص 686 و 709 طبعة بيروت

(46) النشرة الاقتصادية والاجتماعية المغربية رقم 49 - 50

(47) كودار صفحة 188

(48) المعجب للمراكشى

كعاصمة للغرب الاسلامى بالنسبة لدار السلام فى حاضرة الخلافة وهكذا امتاز المغرب بمدارسه الرائعة التى هى احياء سكنية للطلبة كما امتاز بمعاهد تقنية فى القرن الماضى كمدرسة المهندسين (49) ومدرسة المدفعية (بالجديدة) ومدرسة الفنون وتميز هذا الانبعاث الفكرى بايفاد بعثات من الطلبة الى الخارج لاستكمال معارفهم العلمية والتقنية كما تعزز نتاج العقول بمطبعة حجرية نشرت مئات المخطوطات العربية المختارة من بين آلاف المخطوطات النادرة المكتسة فى المكتبات العامة والخاصة بالمغرب .

واذا كان للشعوب والامم مجال يجب الانصراف اليه تعزيزا للكيان الوطنى ودعما للحضارة القومية فهو هذه المجموعة من المجالات التى تستلزم تخطيطاتها الرصينة درجة عليا من التقدم الفكرى والسمو الاجتماعى والتطور التقنى بالاضافة الى الكفاية الاقتصادية ولذلك عمد الاستعمار — كما يقول اندرى جوليان — الى التعجيل بانتهاء المغرب اقتصاديا للسيطره عليه سياسيا ففرضت فرنسا حمايتها عام 1912 م عن طريق القروض والدبلوماسية المالية ولذلك وجب ان تستفيد نهضتنا الجديدة من هذه العبرة فتتلاقى كل استرهان لقوماتها وتوجه تخطيطها الى دعم سياستها الوحودية العربية فى الاطار العالمى عن طريق تراثها الطبيعى فلو ان العرب استطاعوا خلق وحدة اقتصادية حقيقية تحتجز الثروات وخاصة البترول وارصدة البنوك ومختلف اوجه الاستثمار لتوفر لدينا اكبر ضغط سياسى على الغرب الذى ما زال يستنزف قواها الحيوية ويجرح كرامتنا بمكايده ومن مظاهر حضارتنا الفكرية التى يجب ان ندأب متكاتفين شرقا وغربا على صونها ودعمها لربط الماضى بالحاضر مكانة اللغة العربية التى كان نفوذها فى العصور الوسطى بعيد المدى حتى ان جانبنا من اوربا الجنوبية كان يؤمن بأنها هى الاداة الوحيدة لنقل العلوم والآداب — كما يقول جورج ريفوار — « وقد انطلق المنهج العلمى اول ما انطلق باللغة العربية ومن خلال العربية فى الحضارة الاوربية » بهذا اعترف

الاستاذ ماسينيون الذى اكد « ان اللغة العربية اداة خالصة لنقل بدائع الفكر فى الميدان الدولى وان استمرار حياة اللغة العربية دوليا هو العنصر الجوهرى للسلام بين الامم فى المستقبل » فلا يمكن اذن لاية نهضة عربية حديثة ان تكتمل دون ان تستعيد لغة الضاد مكانتها المرموقة فى المحافل الدولية علميا وتقنيا وحضاريا — ولنقتصر نظرنا على مثال واحد يبرز مدى اسهام المغرب العربى فى دعم لغة الضاد فهذا الشيخ مرتضى الزبيدى امام اهل اللغة فى القرن الثانى عشر يتلمذ لآبى عبد الله محمد بن الطيب الشرقى الفاسى (المتوفى عام 1170 هـ) فى اكبر موسوعة لغوية فى العصر الحديث « هى تاج العروس من جواهر القاموس » (كما يتلمذ لمحمد الحسنى البليدى الجزائرى (المقولات العشر للدكتور حقى) وقد كان للاستاذ المغربى اثر عميق فى تكوين تلميذه المصرى حتى انه لا يمر بمشكلة الا واستند الزبيدى فى حله الى شيخه الذى كان اللغويون يصححون المعاجم من املاءاته وتحليلاته كما فعل ابن القزاز البربرى حيث صحت عليه اللغة فى القرن الرابع الهجرى مع صاعد العراقى اضيف الى ذلك ان الفكر المغربى قد طعم المعجم العربى بطائفة من المصطلحات النابعة من مصادر الاشتقاق العربية الاصلية (50) والتى اكتملت بها مجالى الحضارة العربية فى الإدارة والقضاء والشرطة والاقتصاد والصناعة والفلاحة والاجتماع والعمران وقد استعرضنا جوانب من هذه المظاهر فى كتابنا « تطور الفكر واللغة فى المغرب الحديث » الذى هو عبارة عن سلسلة محاضرات القاها فى القاهرة باشراف معهد الدراسات العربية العليا فعناصر التكامل هذه لا ينبغى ان تخلق فى حضارتنا العربية ثنائية متنافرة الطرفين بل كيانا متساوق الاجزاء ينطلق من المفهوم العلمى العربى الخاص الى المدرك العلمى الانسانى العام فى تجاوب يحفظ للكيان العربى عالميته التى ظلت طابعه البارز طوال القرون الوسطى الى العصر الحديث وقد فجر الاستعمار بين الاخوة فى الشرق والغرب هذه الثنائية الانفصالية التى ما زلنا نعانى من ويلاتها الامرين فى

(49) المجلة الاسيوية المجلد العاشر ص 152 .

(50) راجع بعضها فى المستدرك على المعاجم العربية لدوزى وبعضها الآخر فى كتابنا « تطور الفكر واللغة فى المغرب الحديث » .

مجانباتنا الهامشية التي تنسينا أحيانا عمق المشاكل المصرية وحتى في ادق مجالات المعرفة كان للمغرب النصيب المرموق فقد استطاع ان يسهم حتى في تكييف الفن المعماري العالمي بروائع ما زالت قائمة الى الآن حيث تجلّى ابداع الموحدين منذ القرن الخامس في روعة وفخامة مرصد الخالدة او الخير الدة (Gerald) باشبيلية ومنجدي حسان بالرباط والكتيبة بمراكش كما امتاز الفن المريني في القرن الثامن برقة الاشكال وتشعب الرسوم وتداخل التسطيرات والتوريقات والمقرصنات والترخيمات ونقوش الخشب والادهان البديعة والشناسيات الملونة والنحاس الموه وترصيع المنارات والجدران بالزليجيات ورغم اتجاه الفن المعماري منذ القرن العاشر الى هندسة انحصون والقلاع لمواجهة الغزو الاستعماري الاوربي فقد ظل ينافس اوربا في التجديد حيث لم يكن قصر «الرياض» بمكناس يقل روعة عن قصر «فرساي» بفرنسا وهكذا تبلور في الفن المغربي طابع خاص اضفى على الحضارة في الشرق الغربي للوطن العربي لونا جديدا شكل احدى لبنات انبعاث الانسانية الفكرى منذ العصور الوسطى

ومن هذه العجالة يتجلّى انه اذا كان المغرب العربى قد حقق تطورا رائعا في مجالات الفكر والحضارة المختلفة فما ذلك الا بفضل تساقق النشاطات العلمية والثقافية والاقتصادية والاجتماعية بين شقى العروبة فابلق الروابط واعمتها قد استوثق بين الشرق العربى والشمال الافريقى والانطلس على يد رسل الفكر الذين كانوا يهاجرون زرافات ووحدانا في موجات غامرة كل عام للحج او الدج وكان لهذا التبادل مظاهر شتى تبلورت في وفرة الوافدين من علماء المشرق على ملوك المغرب حماة العلم والفكر امثال المنصور السعدى (51) الذى احتضن بلاطه رجالات افذاذا من الحرمين والقدس ومصر والشام والعراق والهند وكان اقمص جواز يقدمه المواطن المغربى او المشرقى في الحدود المطاطة هو اسلامه وعرويته فكانا يستيقضان ويستسفران في الحواضر

العربية والاسلامية شرقا وغربا دون ميز يبتوآن هنا وهناك المناصب السياسية والدبلوماسية والعلمية فلم يكن للمواطنة الضيقة اى اثر في الحيلولة دون انبثاق هذا الشعور الفياض بالوحدة الثقافية النابضة من وحدة الدين واللغة والتاريخ والمصير وقد ظل اقطاب الفكر المغربى ينتجعون الشرق لاستتمام المعارف وتبادل الاجازات العلمية ووجوه النظر في مختلف المجالات التقنية باطراد ووثوق كما عرف الشرق كيف يقدر في شخص زملائه في الغرب الاسلامى حرية الفكر ونزعة التجديد ولعل ما لاحظته القرى وقبلة ابن خلدون من فروق بين الشقّين في الاتجاهات الفكرية والمناهج العقلية يرجع الى انطباع الشرق بالعمق الكلاسيكى في ملكة العلوم واصطبغ الفكر المغربى بالوان من البحث جديدة تحت تأثير التفاعلات مع الغرب ومن بين المقاربة الذين كان لهم ضلع قوى في دعم هذا التبادل الثرى بين شقى العروبة نجتزىء بالاشارة الى بعض ممن عاشوا في العراق امثال :

1 - جمال الدين محمد بن ابي بكر البغدادي اصله من قصر كتامة وهو صاحب الوترية وقد ورد على مراكش عام 655 هـ ثم للمرة الثانية عام 663 هـ (الاعلام للمراكشى ج 3 ص 152) .

2 - محمد بن احمد بن ابراهيم البغدادي الفاسى المتوفى بفاس عام 546 هـ (تكملة الصلة لابن البار ج 2 ص 193 الذيل والتكملة لابن عبد الملك ج 4)

3 - ابو الحكم عبيد الله (او عبد الله) بن المظفر المرينى المغربى كان طبيب المارستان بالعراق ايام السلطان محمود السلجوقى (وفيات الاعيان ج 2 ص 307) خريدة القصر وجريدة العصر للعماد الاصفهائى (قسم المغرب تونس 1966 ص 289)

4 - عبد الله المراكشى الهنتائى جمال الدين فوض الله عمر البغدادي المعروف بالمجرد توفى عام 795 هـ (الاعلام للمراكشى ج 6 ص 102 مخطوط)

كما تتلمذ للفرالى صالح بن حرزهم الفاسى (انس الفقير لابن قنفذ ص 12) وابن حنين الكنائى المتوفى

(51) راجع بحثنا حول رسل الفكر بين الشرق العربى والمغرب العربى في مجلة « اللسان العربى » العدد الخامس 1387 - 1967 .

* خصصنا العراق الشقيقة بالذكر لان هذه المحاضرة اعدت للمؤتمر الدولى للمؤرخين الذى انعقد عام 1973 ببغداد .

وشائج شتى وطبعها الاسلام والعروبة بميسهما
النهائى .

ان المغرب الذى يتحلى منذ ازيد من الف سنة
بالحضارة العربية ما زال نقطة وصل بين عالمين
ومحورا جوهريا للروابط الدولية بين الشرق والمغرب

ويقبض المغرب — بفصل طنجة التى كانت عاصمته
الدبلوماسية — على مقاليد غربى المتوسط بيننا
تشرف قناة السويس على شقه الشرقى ولذلك فان
هذين الطرفين العربيين الذين يشرفان على مركز
يتسم بحساسية نادرة فى الوضع الدولى الراهن لا
بد ان يلعبا دورا مهما فى حوض المتوسط الذى لا
يمكن ان يتم فيه شىء بدون مساهمة — ترتكز على
المساواة والسيادة — من طرف جميع الاقطار العربية
التي تمتد حلقاتها من طنجة الى دمشق على طول ثلاثة
اخماس ضفاف المتوسط تلك حقيقة ناصعة كان من
المحتوم ان تفرض وجودها على الافكار الغربية قبل
اليوم .

وبلغ اشباع الفكر العربى عن طريق المغرب اقاليم
افريقية شاسعة تمتد الى تخوم النيجر جنوبا وحدود
مصر شرقا فكان المغرب محور ومصدر حيوية نابغة
عن الاستقلال الذى كان يتمتع به فلم تعد هناك دولة
غربية مستقلة فى افريقيا غير المغرب بعد عام 1250م
حيث سقطت مصر نفسها تحت سيطرة الاتراك فظل
المغرب يواصل طوال الف عام حمل مشعل الحضارة
العربية كولد بار للشرق العربى السرائد موقنا بأن
الانتماء للشرق هو الميزة الجوهرية فى حضارتنا بل هو
القوام الاساسى لكياننا ولهذا شكل المغرب كجزء قائم
من هذا الوطن العربى نقطة وصل مع اوربا وقنطرة
الى العالم الجديد وذلك ضمن التأثير الذى تركته
حضارتنا فى الغرب والذى لم يكن لينصرم — ضمن
تبادل موصول — لولا تلك الآفة الاستعمارية التى
حولت من جراء مطامعها التوسعية مجرى تاريخنا
فلو ان المغرب والغرب ظلا مستقلين سياسيا الواحد
عن الآخر لامكنهما ان يعززا تقاربهما فى نطاق روابط
حرة وتناسق قار لان التعاون لا يمكن ان يثمر الا اذا
جرى على اساس من المساواة وتبادل احترام السيادة
والكيان فحتى اذا سلمنا بما يزعمه بعض المؤرخين
من وجود رواسب عاطفية ضد الاجنبى فى نفوس

بناس عام 569 هـ (الجذوة ص 304 و 322) وعبد
القادر الاندلسى التطوانى التبين المتوفى عام 566 هـ
(تاريخ تطوان — لـ محمد داود ج 1 ص 74)

اما العراقيون بالمغرب فقد الفت فى شلتهم
المصنفات منها « العراقيون الحسينيون بالمغرب »
لمحمد هاشم زيان العراقى (فهرس الفهارس ج 1
ص 246) « والشيعية العراقية بالمغرب » لاحمد بن
عبد الوهاب الوزير الفسائى « ومطلع الاشراف من
الشرفاء الواردين من العراق » لعبد السلام القادري .

كما شارك مغاربة فى كفاح الشرق ضد الاستعمار
منهم :

1 — يوسف بن دونس الفندلاوى اشتهد فى حرب
الصليبيين فى الشام عام 543 هـ (معجم البلدان ج 6
ص 401) .

2 — العباس بن احمد الفاسى استشهد فى الحروب
الصليبية بالشام عام 595 هـ (الجذوة ص 278)

3 — يوسف بن محمد بن عبد الله البلوى المالى
المتوفى عام 602 هـ غزا مع صلاح بالشام (تكملة ابن
الابرار ص 737 / صلة الصلة لابن الزبير ص 217) .

4 — محمد الجيلانى السباعى المراكشى حارب
الفرنسيين بمصر (عجائب الآثار للجبرتى ج 3 ص
44 — الاعلام للمراكشى ج 5 ص 144)

فهل يمكن لاي توحدة ان تقوم على غير هذه الدعامة من
التكامل بين اجزاء العروبة وهل يتأتى لنهضة عربية
رصينة ان تنبثق فى العصر الحديث دون الارتواء من
هذا المعين الصانق الذى عكسته ولا تزال رواسب
وذبول التخلف الناتج عن انفصال اجزاء الوطن
العربى بعضها عن بعض ربحا طويلا من الزمن تحت
سنة بكيدة الكائدين . وهناك مظهر آخر لحضارة
المغرب يتجلى فى رسالتها فى افريقيا واوربا وامريكا
الجنوبية فالمغرب يحتل موقعا ممتازا فى القارة الافريقية
حيث يشرف على بحرين تركزت فيهما حيوية وحضارة
ولكن هذا الوضع المحظوظ فى قلب العالم الغربى لم
يفت فى اعضاء روح المغرب الشرقية التى عززتها

المغاربة فان ذلك لم يكن ذاتيا وانما هو شيء عارض تخض عن طغيان المطامع والدسائس الاوربية في البلاد .

ان النفسية العربية التي تجمع بين النبل والارحية لا تنفعل انفعالا سيئا الا ازاء ما يمس بكبرياتها الوطنية ويهددها في حريتها ورمز وجودها ففكرة الحرية عند الرجل العربي ليست معناها الفردية الانانية وانما هي توقان طبيعي نزيه لتحقيق الذاتية وحفظها.

لهذا تبلورت مدنيتنا في اشماع ثقافي ممتاز اكثر منها في نفوذ مادي ومع ذلك فان قوة المغرب المادية ما فتئت سائدة في البحر المتوسط الذي كان رومانيا فاصبح طوال العصور الوسطى (بحرا عربيا) كما يقول م ماكس فنتيجو — بجزره وسواحل واساطيله ونهضة تجارته وازاحت لغة القرآن هي اللغة الدولية للتجارة والعلم .

وقد اكد الكاتب الفرنسي المقتر اندرى سيكفريد عضو اكااديمية باريس ان العرب غرسوا في البحر المتوسط حضارة يانعة فطوروا الري وادخلوا غراسات جديدة كالقطن والارز وقصب السكر والحوامض (وبسببهم فقد البحر المتوسط طابعه المسيحى) .

ان الاشماع المادي للقوة المغربية في المتوسط هو آخر ما نفكر فيه لابرار الرسالة التي اضطلعنا بها في هذا البحر ومع ذلك فان الاسطول الموحدى الذى كان يضم اربعمائة قطعة ما لبث ان اصبح اول اسطول في المتوسط (اندرى جوليان) على ان المغرب قد تزعم العالم الاسلامى والعربى في هذا العصر مما حدا صلاح الدين بطل الحروب الصليبية الى الاستنجد بالاساطيل المغربية لايقاف تقدم المسيحيين في طريق الشام وما لبث هذا الاسطول ان ضم ازيد من ستمائة قطعة حربية ايام ابي الحسن المرينى . وسيادة العرب في البحر المتوسط ظهرت بوادرها ولما تهر على انبثاق الاسلام بضعة عقود فقد غزا معاوية بعض جزر المتوسط بألف وسبعمائة سفينة ثم قامت الاوراش التونسية تعزز بانتاجها الجديد قوة الشرق العربى البحرية حيث صنعت في بعض ايام ابن نصير وحده نحو مائة قطعة وقد برهن المغاربة منذ القرن السادس

المهجري عن حاسة استراتيجية مبكرة حيث ادرك عبد المومن بن على الموحدى اهمية جبل طارق الذى هو احد مفاتيح المتوسط فعمد الى تحصينه واحالته الى قاعدة امامية للدفاع عن افريقيا والاندلس وحتى في خصوص فكرة الجندي المجهول نلاحظ وجود ما سمى في الاندلس بالشهيد الغريب Le martyr inconnu في المخاضة التي بين حصن بالمـ Palma del Rio وهى الجرف Al-Jarf (الاديسى — التزهة ص 208) .

ان رسالة الحضارة المغربية الحق في البحر المتوسط تتجلى في مظهرين اثنين هما التأثير الاقتصادي والاشماع الثقافي على ان الدور الاقتصادي نفسه لم يكن في الواقع سوى نتيجة للتفوذ الادبى فسياسة التسامح التي نهجها المغرب في اغلب عتموره قد ساهمت في توثيق الروابط بين المسلمين والمسيحيين حتى اصبحت المراسى المغربية في سواحل المتوسط مصدر نشاط فياض فهمى التي كانت ينبوع الاول للمبادلات مع بيزا وجنوة والبندقية ومزسليا وغيرها من موانئ .

وقد اكد مسيو ماكس فنتيجو مؤلف المعجزة العربية (Le miracle arabe) ان الحكومة الموحدية كانت من اشد الحكومات احتراما للحرية وان الاندلس عرفت في عهدها عصرا ماجدا تلاقى فيه نجم المعارف والعلوم العربية التي سرى تيارها المنعش في جنبات اوربا نعم ان من مظاهر تلك المعجزة العربية تحقيق شعوب اوربا الغربية من ايطاليين وفرنسيين والمان وانجليز لذلك الانقلاب الفكرى العظيم الذى تفق عن عصر النهضة وقد سبق لكوستاف لويون ان قال نقلا عن العالم الايطالى ليبرى Libri (لولا العرب لتأخر انبعاث الآداب في اوربا عدة قرون) .

نعم لم يتصل الاوربيون بالعلوم العربية الا عن طريق اسبانيا المسلمة التى برهن غيا تنافس العناصر العربية والمسيحية عما للثقافة العربية من تفوق غير منازع على الثقافة اللاتينية وما لبث هذا الاشماع العربى ان غمر شعوب الغرب فبلغ كبريات العواصم ونشل مدن بيزا وبولونى ومونبيللى وسلامانك وانيونيون وباريس من وحشتها اللاتينية حيث فتح امامها مجال الفكر والحياة الثقافية كما قال فنتيجو ورغم انهزام

الموحدين السياسى وعودة الاندلس الى حظيرة المسيحية ظل نفوذ الحضارة العربية يتزايد فى نظر الغربيين حتى صارت باريس نفسها التى اسس جامعتها الملك فيليب اوجست على اثر عودته من الشرق - تستمد من المغرب والشرق كثيرا من كشوفها

والذى يزيد هذه الظاهرة غرابة ان الفتوح العربية لم تكن حركة توسعية ولا حربا صليبية ضد المسيحية وانما كانت رسالة تبشيرية لا تهدف الى اى لون من الوان الانحياز ومن مظاهر تسامح ملوك العرب ونزاهة وجهتهم ان جوهن ملك انجلترا عرض عام 1199 على آخر ملوك الطوائف وهو محمد الناصر ان يحبيه ضد البابا فى مقابل جزية سنوية واعتراف الاسلام من طرف انجلترا ملكا وشعبا ولكن الملك العربى رفض هذا العرض لان اريحته ايت عليه استغلال الضائقة السياسية التى كان الانجليز يتخطون فيها لحملهم على اعتناق الاسلام .

ليس اذن من الغريب ان لا يتجلى اثر الحضارة العربية فى ذهن الاوربى المتوسط الا فى فتوح اوقف تيارها شارل مارتيل فى بلاط الشهداء ؟

ومنذ القرن السادس عشر امكن للحضارة المغربية التى كانت الى ذلك التاريخ منحصرة فى البحر المتوسط ان تدخل الى امريكا الجنوبية بواسطة الفزاة البرتغاليين الذين اكتسحوا اذ ذاك العالم الجديد فقد تلقت البرازيل مثلا طوال ثلاثة قرون متوالية تاثير المدنية الاندلسية فانتسعت جميع مظاهر الحياة الاجتماعية الامريكية بطابع مغربى ينمو ويضعف حسب الاصطاع فتتقن المرأة البرازيلية على طريقة زميلتها المغربية وكيف اسلوب حياتها كما فعلت المرأة الصقلية المسيحية فيما حكاه الرحالة ابن جبير تكييفنا - يحنو حنو النمل بالنمل ما عهد فى الاندلسيات

والمغربيات نعم اصبح الشئ الكثير فى البرازيل صورة لما كان عليه مجتمعنا فى العصور الوسطى من اناقة النساء الارستقراطيات فى الحواضر واتخاذهن الطنافس الوثيرة للجلوس بدل المقاعد الخشبية الى غير ذلك من طرائق الحياة الفردية ومناهج الفلاحة والغراسة فى البادية فبالرغم عن اختلاف الطقس استخدم الفلاح الامريكى اجهزة واساليب الفلاحة المغربية وانتشر استخدام الطواحين الهوائية فى مجموع انحاء امريكا الجنوبية مع جميع ما ينطوى عليه نظام الرى عندنا (السواقي والآبار الخ) وقد نقل المعبرون البرتغاليون الى امريكا جميع ما انجزه المغاربة فى القسم الجنوبى من الاندلس من مصانع السكر والقطن الى مزارع الحوامض ودودة القز (كانت 3060 قرية اندلسية تتعاطى تربية دودة القز) على ان اللغة الاسبانية الامريكية تنم عن الآثار التى تركتها حضارتنا فى الميدان الثقافى والاقتصادى والاجتماعى بامريكا فالاصلح الامريكى فى المياه والسقى والرى معظمه عربى وكثير من الازهار والنباتات العطرية ما زالت تحمل فى اسبانيا وامريكا اسماء عربية اضيف الى ذلك ما يمس (مودة) النساء من اسماء الحلى والمصوغات والشبه وثيق بين المغرب وامريكا الجنوبية فى

ميدان الهندسة المعمارية حيث لا تختلف فى البلدين اساليب البناء فى الكنائس والاديرة والمنازل والحمامات وقد تآثر الاصطلاح الامريكى ايضا بالمفردات العربية.

ويضيق المجال عن تعداد المناحي التى تجلت فيها آثار الحضارة المغربية والاندلسية فحتى اساليب الطبخ واسماء العائلات لا تختلف فى امريكا عنها فى المغرب ووحدة اصول العائلات العربية تفسر لنا نجاح الهجرة العربية الى امريكا ورسالتنا الحضارية اصبحت فى الظروف الدولية الراهنة اشد واقعية من اى وقت وابرز عنصر يجب ان تنطلق منه العناصر الحضارية الاخرى عند اخواننا فى الشرق لبناء صرح نهضتنا الحديثة .